**المحاضرة التاسعة : اللغة الصوفية**

**تمهيد :**

لم يحظ نصّ شعري أو نثريّ في تاريخ الأدب العربي على مرّ العصور الممتدة من العهد الجاهليّ ، وحتى العصر الحديث بالاهتمام على جميع المستويات بمثل ما حظيت به اللغة الصوفية في الخطاب الأدبي ، ولا شك أن الدخول إلى حقل هذه اللغة أمر بالغ الصعوبة والتعقيد ، فلغة المتصوفة بشكل عام لغة خاصة بهم ، أو تعبيرات فنية استقلوا بها في الإفصاح عن آرائهم وأغراضهم ، وبعضها يعد من الأسرار المكتومة ، والبوح بها يعتبر خرقا لقواعد وقوانين التصوف يستلزم الإبعاد وحجب الثقة .

**1-** **اللغة الصوفية في الخطاب الأدبي :**

تعد اللغة الصوفية المنطوقة أو المكتوبة أحد أشكال التعبير اللغوي الصادر عن تجارب عرفانية وجدانية ، لقد اخترق الخطاب الصوفي لغة التداول والتواصل ، لأنها أصبحت في نظر الصوفية لا تستجيب للمقامات والأحوال المعاشة ، ولم تعد تعبر عن مكنونات هذه النفس ، فمن الضروري عندهم أن تصير هذه اللغة هي ذاتها حجابا ، فدأب الخطاب الصوفي على العمل لخلق لغة ثانية داخل اللغة الأولى وهي لغة الرمز والإشارة.

يعيش الشاعر الصوفي تجربة من نوع خاص وذات طبيعة مغايرة حيث يروم الفكاك من قيود الواقع ونواميس المألوف والارتقاء نحو مدارات الكمال المنشود ، بحيث تنفرد اللغة الصوفية بجملة من الخصائص والمقومات اتلي تحدد كيانها وتميزها عن غيرها ومن أهم خصائصها ما يلي :

* التجربة الصوفية أحد مكوناتها .
* لغة رمزية مجازية ذات دلالات كثيرة قابلة لأكثر من تأويل تتميز بالتخيل والتمثيل والتشبيه .
* ينتقل التصور الصوفي لطبيعة اللغة من النظر الإجرائي إلى البناء الكلي من الحرف إلى الخطاب اللغوي إلى الخطاب الأكبر وهو خطاب الوجود .

يقول ابن عربي :

**الجود أولى به والفقر أولى بنا فكن به لا تكن إلا به ولنا**

**ما في الوجود سوى فقر وليس له ضد يسمونه في الاصطلاح غنى**

**أين الغنى وأنا بالذات أقبل ما يريد تكوينه والكون مني أنا**

**فالكون مني ومنه فاعتبر عجبا هذا الذي قلته قد كان قبل بنا**

حين نتأتي إلى البحث في خبايا هذه اللغة الصوفية فإننا نستشعر قوتها وعنفها في الوقت ذاته ، فأما قوتها حين جعلت من المعنى غامض لا ينفتح إلا على حقول دلالية تبدو مستعصية الفهم ، لا تقر على معنى واحد وثابت ، وعنفها حين تتوزع على مسافات التأويل ، وما دام أنها تلامس الحدث الصوفي الذي يسعى فيه الشاعر دوما لإزاحة صورة الأنا الظاهرة لإخلاء الطريق لانبثاق الأنا الحقيقية.